المـــطر في الشـــــعر الجاهلي

يوسف علي الريح*

ملخص

يتحدث هذا البحث عن المطر في الشعر الجاهلي ، فقد تناول تكون المطر عند الفلكيين والمنجمين والفلاسفة ، وقد أوضحوا أن المطر يتولد من البخار الرطب الذي يصعد إلى السماء .

ثم تناول المطر في القرآن الكريم؛ وقد حمل المطر في القرآن الكريم عدة معان فهو حياة وموت وبعث ورحمة وبركة ونعمة وعذاب ، وهو أصل للموجودات .

ثم تناول أهم الكتب التي ألفت في المطر ، وتتبع الجاهليين للمطر والبرق ، فهم يستطلعون المطر ويأرقون لبرقه ،ويتعذبون في انتظاره ، ثم تحدث عن الجدب والحر في جزيرة العرب .

وتحدث أيضا عن تصوير المطر عند الجاهليين فقد اتخذ صورا كثيرة ، فهو المغيث من الهلاك ، لذا سموه غيثا ، وهو أصل الحياة فسموه حيا ، وهو المنجي من العذاب فسموه رحمة .

ثم تناول العلاقة بين الرياح والأمطار فالرياح تكون السحب وتلقحها . وذكرت الرياح بجانب المطر في القرآن الكريم ، وفي الشعر الجاهلي ، وعرفوا أن الرياح التي تمطر هي ريح الجنوب .

abstract

Rain in pre- Islam poetry

This study treats rains in pre-Islam poetry – it treated rain in astronomers , astrologers and philosophers the claimed that rain formed form damp vapour that ascended to sky .

Then the study treated rain in holy Koran which is seen as : life , death , revival , grace, bliss , and torture . It is the origin of existence . Then it handled the important treatise about rain . The pre – Islam people anticipated rain and lightening .

Then it handled dryness and hot weather in the Arab Peninsula. To them the rain was the origin of life and a rescuer.

The study ended by showing the relation between the rain and the wind. In holy Koran the wind is associated with rain. The rainy wind is the southern wind.

* أستاذ مساعد - كلية الآداب - جامعة شندي

تكون المطر:

اتفق العلماء على أن الريح تتولد من البخار اليابس الذي يصعد إلى السماء – واتفقوا كذلك على أن المطر يتولد من البخار الرطب الذي يصعد إلى السماء .

قال المرزوقي :(1) " إن الشمس إذا مرت على الأرض رفعت منها بخارين : رطبا ويابسا ، وكل من البخارين قد يخالط البخار الآخر ، إلا أنه يسمى بالأغلب عليه منهما . فأما البخار الرطب : فهو مادة الأمطار والأنواء كلها " .

وقال أحمد بن سهل المقدسي :(2) " ... والمنجمون يزعمون أن الشمس تمر بمواضع ندية وبطائح غمر فتثير سحابا بحرارة مرورها ؛ فإذا تكاثف ذلك البخار صار غيما ؛ قالوا : والمطر مادة ذلك الغيم " .

ويقول أخوان الصفاء وخلان الوفاء : (3) " واعلم يا أخي أنه إذا ارتفعت البخارات في الهواء ، وتدافع الهواء إلى الجهات ، ويكون تدافعه إلى جهة أكثر من جهة ، ويكون من قدام له جبال شامخة مانعة ، ومن فوق له برد الزمهرير مانع ، ومن أسفل مادة البخارين متصلة ، فلا يزال البخاران يكثران ويغلظان في الهواء ، وتتداخل أجزاء البخارين بعضهما في بعض ، حتى يسخن ويكون منها سحاب مؤلف متراكم " .

ويفرق ابن سيناء بين المطر والرياح بقوله : (4) " ومما يدل على أن مادة الريح غير مادة المطر الذي هو البخار الرطب وهو أنهما في أكثر الأمر يتمانعان ، والسنة التي يكثر فيها المطر لكثرة البخار الرطب تقل الريح ، والسنة التي تكثر فيها الرياح ، تكون سنة جدب وقلة مطر ، لكنه كثيرا ما يتفق أن يعين المطر على حدوث الريح ، ... وقد تعين الريح على تولد المطر بأن تجمع السحاب ، وتسمى الرياح التي تعين على المطر رياح سحابية " .

ويقول القلقشندي معرفا المطر : (5) " ذهب العلماء أنه بخار يتصاعد من الأرض أو حرارة الشمس أو منهما فيجتمع ، وربما أعانت الريح على جمعه بأن تسوق البعض إلى البعض حتى يتلاحق ، فإذا انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف وصار ماء وتقاطر " .

وقد عد الثعالبي (6) للسحاب أكثر من ثلاثين اسما ووصفا ، كما عد للمطر أكثر من عشرين اسما ووصفا .

المطر في القرآن الكريم

استخدم القرآن الكريم المطر والماء والسحاب والرعد والبرق استخداما واسعا دقيقا ، فهو حياة وموت وبعث وأصل للموجودات ، منه خلق كل شئ ، وهو الرحمة والطهور والغيث والبركة ، وهو موضع النعمة والعذاب ، وهذا التصور للمطر جاء موافقا لتصور الفكر الجاهلي . ومن أجل ذلك سأستعرض الآيات القرآنية الكريمة التي عرضت للمطر .

جعل القرآن الكريم نزول الغيث برهانا على الإرادة الربانية القادرة على الإحياء والبعث من الموت . قال تعالى :"وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ،كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون " .(الأعراف 57). وقال تعالى:" وما أنزل الله من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها " (البقرة 164). وقال أيضا : " الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابافسقناه إلي بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور " (فاطر 9). وقال أيضا " ولئن سألتم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله "(العنكبوت 63). وقال أيضا "ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها" (الروم 24).

وجاء الماء في القرآن الكريم أصلا للموجودات ، ومادة للحياة ، منه خلق كل شئ ؛ قال تعالى :"والله خلق كل دآبة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع" (النور 45).

ومن الماء أنبت الله حدائق ذات بهجة " وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة " (النمل 60). وأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها " (فاطر 27) . به تصبح الأرض مخضرة " ألم تر أن الله أنزل من السماء

فتصبح الأرض مخضرة " (الحج 63). منه شراب ومنه شجر وفيه نسيم الأنعام وبه ينبت الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات " هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون " (النحل 10).

وسمى القرآن الكريم الماء (رحمة) قال تعالى : " وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، وأنزل من السماء ماء طهورا " الفرقان (48) . وقرن المطر بالرحمة في آية أخرى " وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته " (الشورى 28) وقرن الماء بالطهارة والنقاء ؛ قال تعالى " وأنزلنا من السماء ماء طهورا " (الفرقان 48) وقال أيضا " وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به " (الأنفال 11). ووصف الماء بالبركة " ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد " (الفرقان 9).

وضرب القرآن مثلا للحياة الفانية بالغيث الذي ينبت زرعا رائعا يعجب الكفار ، سرعان ما يتحول إلي هشيم تذروه الرياح ؛ قال تعالى : " اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " (الحديد20)

وقد جاءت صورة المطر من حيث هو عنصر متناقض في القرآن الكريم واضحة وضوحا تاما ، فهو مادة الحياة ومادة للموت معا ، وكثيرا ما يذكر المطر في القرآن الكريم في موضع الانتقام والعذاب ؛ قال تعالى : " وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود " (هود 82) وقال : " وأمطرنا عليهم مطرا ، فانظر كيف كان عاقبة المجرمين " (الأعراف84). وقال " وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين " (الشعراء 173). وقال أيضا : "ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء " (الفرقان 40) .وقال : " فامطر علينا حجارة من السماء " الأنفال 32).

ورسم القرآن الكريم صورا مرعبة للماء في (طوفان نوح)انظر سورة هود ، وفي تصويره للصواعق الهائلة ، والبرق الخاطف الذي يكاد يذهب بالأبصار انظر سورة النور (43) ،والبقرة (19) ، والروم (24)، والرعد (13) .

وهاتان الصورتان المتضادتان للمطر أبرزهما القرآن الكريم بوضوح تام ، صورة الرحمة والطهر والنعمة والحياة ، وصورة العذاب والنقمة والرعب والموت .

اهتمامهم بالمطر

اهتم الشعراء الجاهليون بالمطر اهتماما كبيرا لأنه مادة حياتهم وحياة نعمهم ، به يخصبون ، فالمطر خير وبركة ونعمة تسمن به إبلهم ومواشيهم ويكثر ولدها ، فتنموا أموالهم ، وإذا ما انحبس المطر ابتلوا بالجوع والمرض والنهب والفتن والموت .

وقد تتبع الشعراء في الجاهلية نزول المطر فراقبوه ووصفوا برقه اللامع ، ورعده القاصف ، وسحبه الحافلة ، ورياحه المتناوحة ، ورسموا صورا رائعة لمناظره ، وأشاروا إلى السيول والغدران والآبار .

وقد تنبه اللغويون والأدباء إلى أهمية المطر في الشعر العربي القديم ، فخصوه بصحف كثيرة تعني بشرح ألفاظه ، وتفسير معانيه ، وتبيان أحواله وأسمائه وأشكاله ، وما يتبعه من سحاب وبرد وريح ورعد وبرق وكسوف وأنواء ، وخصوا الأنواء بنصيب كبير من كتب المطر ، ، عصفت يد الزمان بأكثرها ولم يبق منها إلا القليل ، وإلا أسماء تكشف عن علم ضاع واندثر، ومن هذه الكتب: -

كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس (ت 215هـ- 830م) (7)

كتاب مياه العرب للأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت 216هـ- 831م) (8)

كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار للزيادي ، أبو أسحق إبراهيم بن سفيان (ت 249 هـ -863م) (9)

كتاب الخصب والقحط للسجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد (ت 250هـ – 864م) (10)

كتاب الأمطار والرياح وتغير الأهوية ، لأبي معشر جعفر بن محمد البلخي المنجم المشهور (ت 272هـ 885م) (11)

كتاب السحاب والغيث وأخبارالرواد وما حمد من

الكلام لابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 321هـ - 933م) (12)
كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي ، أبو إسحق إبراهيم (ت 650 هـ 1252م) (13)
الجزءان الأول والثاني من كتاب : سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي ، أحمد بن يوسف بن أحمد القيسي (651هـ – 1253م) (14)
الفن الأول في السفر الأول من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، شهاب الدين (ت733هـ – 1332م) (15)
كتاب الأنواء وهو السفر التاسع من كتاب المخصص لابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ – 1065م) (16)

تتبع المطر

تتبع الجاهليون المطر تتبعا دقيقا ، فهو بمثابة الحياة لهم ، فسهروا الليل في مراقبته ، فهم يستطلعونه ويأرقون لبرقه ويتعذبون في انتظاره ؛ قال لبيد بن ربيعة : (17)

يا هل تري البرق بت أرقبه
يزجي حبيا إذا خبا ثقبا
قعدت وحدي له، وقال أبو
ليلي متي يغتمن فقد دأبا

وقال أيضا : (18)

أصاح تري بريقا هب وهنا
كمصباح الشعيلة في الذبال
أرقت له وأنجد بعد هدء
وأصحابي علي شعب الرحال

وقال عبيد بن الأبرص : (19)

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه
من عارض كبياض الصبح لماح
دان مسف فويق الأرض هيدبه
يكاد يدفعه من قام بالراح

وذكر أيضا : (20)

يا من لبرق أبيت أرقبه
في مكفهر وفي سوداء مركومه

وذكر سحيم عبد بني الحسحاس :(21)

أحار تري البرق لم تغتمض
يضئ كفاف ويجلو كفافا

وقال أيضا : (22)

فدع ذا ، وكن هل تري ضوء بارق
يضئ حبيا منجدا متعاليا
يضئ سناه الهضب هضب متالع
وحب بذاك الهضب لو كان داليا

وقال النابغة الذبياني : (23)

أ صاح تري برقا أريك وميضه
يضئ سناه عن ركام منضد

وذكر حسان بن ثابت الأنصاري : (24)

أرقت لتوماض البروق اللوامع
ونحن نشاوي بين سلع وفارع
أرقت له حتي علمت مكانه
بأكناف سلع والتلاع الدوافع

المطر والجدب

الجدب في جزيرة العرب ليس طارئا ، فقد ارتبطت به حياة العرب ارتباطا وثيقا ، ولعل النواح من أجل المطر من أبرز ألحان الشعر الجاهلي ، وفي الجدب تتحول الصحراء عندما تهب عليها رياح السموم والحرور جحيما لا يطاق . فقسوة الحياة في الصحراء العربية أمر لا ينكر ، فصورة الجدب والجفاف محفورة في ذهن الشعراء الجاهليين ، وقد وصف الهمداني جزيرة العرب وصفا مفصلا(25).

وقد عني الشعراء الجاهليون بتصوير هجير الصحراء الذي يميت أنفاس الرياح ، ويحيل الحياة إلى جماد ، وعندما يسفع المسافرين سعير الصحراء ، الذي يشوي الوجوه ، ويترك المسافرين كالأشباح ؛ يقول علقمة الفحل:- (26)

وقد علوت قتود الرحل يسفعني
يوما تجئ به الجوزاء مسموم
حام كأن أوار النار شامله
دون الثياب ورأس المرء معموم

ويقول الأعشى :- (27)

تدلت عليه الشمس حتى كأنها
من الحر ترمي بالسكينة قورها

وقال المتلمس الضبعي :- (28)

وجناء قد طبخ الهواجر لحمها
وكأن نقبتها أديم أملس

وقد صور الشعر الجاهلي الجدب في الحياة العربية بصور فظيعة ، فكثيرا ما يصورون الجوعى والمقرورين ، والعفاة الملهوفين ممن قذفت

بهم الصحراء في فم الموت يطرقون البيوت بحثا عن الطعام . ويعرض الشعراء في لوحاتهم صورا كثيرة للجدب والقحل ، ويقرنونها بالريح الحرجف العاتية التي تلفح الوجوه لفحا ، وسموا السنة الجدباء " كحلا " إما لخضرة السماء فيها وانقشاع الغيم من سمائها ، وإما لسواد الحياة فيها وسوء المعيشة وضنكها . وسموها أيضا " ضبعا " (29) لأنها تأكل الأخضر واليابس ولا تبقي ولا تذر .قال عمرو بن قميئة :- (30)

وإن صرحت كحل وهبت عرية
من الريح لم تترك لذي المال مرفدا

وفي هذه السنين العجفاء تجود النفوس الكريمة ، والقلوب الكبيرة ، بما تملك للجار والحليف وابن السبيل ؛ قال خفاف بن ندبة :- (31)

هم الأيسار إن قحطت جمادي
بكل صبير سارية وقطر

وهم يقرون الضيفان من الإبل السمينات في البرد الشديد ؛ قالت الخنساء :- (32)

فمن للضيف إن هبت شمال
مزعزعة تجاوبها صباها
وألجأ بردها الأشوال جدبا
إلى الحجرات بادية كلاها
هنالك لو نزلت بآل صخر
قرى الأضياف شحما من ذراها

تصوير المطر

اتخذ المطر في أذهان الجاهليين صورا كثيرة، فهو المغيث من الهلاك لذا سموه (غيثا) ، وهو أصل الحياة فسموه (حيا) ، وهو المنجي من العذاب فسموه (رحمة) . فهو مادة للتطهير الحسي والمعنوي ؛ قال طرفة:- (33)

إذا المرء لم يغسل من اللوم عرضه
ولم ينقه لم يغن عنه بهاؤه

والمطر يعني النعمة والخير ، قال جويرية بن بدر:- (34)

لعلهم إن يمطروني بنعمة
كما صاب ماء المزن في البلد المحل

وقال حسان بن ثابت :- (35)

ندمان صدق تمطر الخير كفه
إذا راح فياض العشيات خضرما

والخضرم هو الجواد ، من الخضرم وهو الماء الكثير .

والمطر قوة عظمى نافعة فيه معنى البركة والشفاء والحياة ؛ قال أبو تمام :- (36)

وما العيش إلا نومة وتشرق
وتمر كأكباد الحرار وماء

والمطر شفاء الروح والنفس ؛ قال الممزق العبدي :- (37)

صحا من تصابيه الفؤاد المشوق
وحان من الحي الجميع تفرق
وأصبح لا يشفى له من فؤاده
قطار السحاب والرحيق المروق

ويحتمل الماء أيضا معنى السعادة والكرامة والعزة والشرف وطيب العيش ، وقد عبر عن هذه المعاني كلها عمرو بن كلثوم في بيته المشهور :- (38)

وأنا الشاربون الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا

وكان النزاع على الماء من الأمور المألوفة في الحياة الجاهلية ، ولا نبالغ إذا قلنا إن أكثر حروب الجاهليين كانت من أجل الماء ، فقد أقتتلت " عبس وكلب " على ماء يقال له " عراعر" فقتلت "عبس " من "كلب" جمعا كثيرا ؛ وفي هذا اليوم أنشد عنترة بن شداد قصيدته التي مطلعها :- (39)

ألا هل أتاها أن يوم عراعر
شفى سقما لو كانت النفس تشتفي

الرياح والأمطار

ثمة علاقة كبيرة بين الرياح والأمطار، فالرياح هي التي تكون السحب وتلقحها . وقد ذكرت الرياح بجانب المطار في القرآن الكريم ؛ قال تعالى : " وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء " (الأعراف 57) وقال تعالى " والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت " (فاطر 9)

وربط الثعالبي بين الرياح والأمطار يقول (40) : " إذا كانت تأتي بالأمطار فهي المعصرات ، وإذا كانت تأتي بالسحاب والغيث فهي المبشرات " .

وقال النويري (41) " وقد روي في الأثر أن الرياح أربع : ريح تقم ، وريح تثير فتجعله كسفا ، وريح تؤلف فتجعله ركاما ، وريح قطر " .

وقد سموا الريح التي لا تمطر العقيم ؛ قال أبو هلال العسكري (42) " في قوله تعالى : " إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم " فالعقيم التي لا تجئ بولد ، والولد من أعظم النعم ، وأجسم الخيرات ؛ ولهذا قالت العرب : شوهاء ولود ، خير من حسناء عقيم . فلما كان ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جاء ، ولم يبق أحدا من القوم ، كما أن العقيم لا يخلف نسلا ، وسمي الريح عقيما لأنها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره ؛ كما أن العقيم من النساء لا تأتي بولد يرجى . وفضل الاستعارة على الحقيقة في هذا أن حال العقيم في هذا أظهر قبحا من حال الريح التي لا تأتي بمطر ، لأن العقيم كانت عند العرب أكره وأشنع من ريح لا تأتي بمطر ، لأن العادة في أكثر الرياح ألا تأتي بمطر ، وليست العادة في النساء أن يكون أكثرهن عقيما " .

وقد اقترن ذكر الجنوب بالمطر في شعر الجاهليين ، فعندما يتحدثون عن الجنوب يتحدثون عن المطر الغزير الذي يعم المرتفعات والمنخفضات وحينئذ يعم الخير والخصب في السهول والوديان .

قال المرزوقي : (43) " ... وقال أبو عبيد في قوله تعالى : " وأرسلنا الرياح لواقح " . فاللاقح الجنوب لأنها تلقح السحاب ، والحائل : الشمال لأنها لا تنشئ سحابا ، وكما سموا الجنوب لاقحا سموا الشمال عقيما ، لأنها عندهم لا تحمل كما تحمل الجنوب . وأكثر العرب تجعل الجنوب هي التي تنشئ السحاب ، وتسدده . وتصف بواقي الرياح بقلة المطر والهبوب في سني الجدب " .

قال أبو ذؤيب الهذلي : (44)

إذا كان عام مانع القطر ريحه
صبا وشمال قرة ودبور

قال ابن قتيبة معلقا على بيت أبي ذؤيب السابق (45) : " وأخبرك أن هذه الثلاث لا قطر معها ، وأن القطر مع الجنوب وهذا كما ذكر في الأشهر والأغلب، إلا الصبا فإنها تفعل كما تفعل الجنوب" .

وقال المرزوقي(46) : وكان الأصمعي يحكي عن العرب : إن ما كان من أرض الحجاز ؛ فالجنوب هي التي تمري السحاب فيه والشمال تقشعه . وما كان من أرض العراق ، فالشمال تمري فيه السحاب وتؤلفه ، ولم يقل إن الجنوب تقشعه ، ولا أنه لا عمل لها فيه . قال : وأحسبه أراد أن الشمال والجنوب تفعلان ذلك جميعا بأرض العراق دون الحجاز ، وعلى هذا وجدت بعض الشعراء . قال الكميت وكان ينزل الكوفة :

مرته الجنوب فلما اكفهر
حلت عزاليه الشمأل

فجعل الجنوب تستدره والشمال تحله " .

وقد ورد كثيرا في شعر الجاهليين أن الجنوب تسوق المطر وتستدره . قال أوس بن حجر : (47)

هبت جنوب بأعلاه ومال به
أعجاز مزن يسح الماء دلاح

وقال عامر بن جوين الطائي :48

تحته ريح يمانية فتثير وادقا هدبا

ذكر المرزوقي : (49) " وكلهم يجعل البرق يمانيا ولا يجعله أحد شاميا ؛ لأن الشامي أكثره خلب عندهم ، وهذا يدل على أن المطر للجنوب لأنها يمانية " .

قال أبو ذؤيب الهذلي : (50)

مرته النعامى فلم يعترف
خلاف النعامى من الشام ريحا

قال المرزوقي : (51) " النعامى الجنوب ، ومرتها استخرجت مطرها ، ومن الشام يريد الشمال ، فهذه كلها تجعل العمل للمطر للجنوب ، وتجعل الشمال تقشع السحاب ، ويسمونها محوة لأنها تمحو السحاب " .

وذكر أبو ذؤيب أن النجدية تردد السحاب وتمده ويقصد بالنجدية الجنوب: (52)

تكركره نجدية وتمده
مسفسفة فوق التراب معوج

وقال عمرو بن قميئة : (53)

متحلب تهوى الجنوب به
فتكاد تعدله وينجفل

وقال عبيد بن الأبرص وقد وردت بعض هذه الأبيات عند أوس بن حجر : (54)

هبت جنوب بأولاه ومال به
أعجاز مزن يسح الماء دلاح
فمن بنجوته كمن بمجفله
والمستكن كمن يمشي بقرواح
فأصبح الروض والقيعان ممرعة
من بين مرتفق فيه ومنطاح

ويقول علقمة بن عبدة فيما أورده الأعلم الشنتمري : (55)

سقاك يمان ذو حبي وعارض
تروح به جنح العشي جنوب

ويقول امرؤ القيس بن جبلة السكوني : (56)

فما زلت أدعو الله حتى استماهما
من العين جون ذو عثانين مسبل
به برد صافي الجنوب تمده
بنات مخاض المزن أبيض منزل

فكل الأبيات السابقة تدل على أن الجنوب هي التي تستدر السحاب ، وأن أمطارها تكون غزيرة .

وقد تقترن الصبا مع الجنوب في إلقاح السحاب وحينئذ يكون المطر أغزر . حكي عن أبي عبيدة فيما أورده المرزوقي قال : (57) " قلت لإعرابي : ما أسح الغيث ؟ قال : ما ألقحته الجنوب ، ومرته الصبا ، ونتجه الشمال " .

ومن الذين قرنوا الأمطار بالجنوب مع الصبا عبيد بن الأبرص يقول : (58)

سقى الرباب مجلجل ال ... أكناف لماح بروقه
جون تكركره الصبا ... وهنا وتمريه خريقة
مري العسيف عشاره ، ... حتى إذا درت عروقه
حتى إذا ما ذرعه ... بالماء ضاق فما يطيقه
هبت له من خلفه ... ريح يمانية تسوقه
حلت عزاليه الجنو ... ب، فثج واهية خروقه

وقال طرفة بن العبد : (59)

مرته الجنوب ثم هبت له الصبا
إذا مس منها مسكنا ، عدمل نزل

وقال أبو قردودة الطائي : (60)

مرته الصبا وانتجته الجنوب
تطحر عنه جهاما رقاقا

ويقول تميم بن أبي بن مقبل : (61)

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق
يمان ، مرته ريح نجد ففترا
مرته الصبا بالغور غور تهامة
فلما ونت عنه بشعفين أمطرا
يمانية تمري الرباب كأنه
رئال نعام بيضه قد تكسرا

وقد تستدر الصبا السحاب وحدها دون ذكر الجنوب . يقول امرؤ القيس : (62)

راح تمريه الصبا ثم انتحى
فيه شؤبوب جنوب منفجر

وقال المسيب بن علس :(63)

أو صوب غادية أدرته الصبا
ببزيل أزهر مدمج بسياع

وقال أبو ذؤيب : (64)

سقى أم عمرو كل آخر ليلة
حناتم سود ماؤهن ثجيج
إذا هم بالأقلاع هبت له الصبا
فأعقب نشء بعدها وخروج

وذكر المبرد عددا من أبيات الشعر موضحا فيها أن (الشمال) مع بردها من شأنها استدرار السحاب .ثم قال معلقا على الأبيات : (65)" فتأمل ما أحضرناه من شعر تجد (الشمال) عندهم عمودية موصوفة بالأمطار والاستدرار ، وليست كما زعم الأصمعي أنها تمحو السحاب ، ولا كما قال أبو العباس أنها علامة الجدب وذهاب الأمطار " .

أما الدبور فلا مطر معها . قال ابن منظور : (66) " وتزعم العرب أن (الدبور) تزعج السحاب ، وتشخصه في الهواء ثم تسوقه فإذا علا كشفت غيمه واستقبلته الصبا فوزعت بعضه على بعض حتى يصير كسفا واحدا ، و(الجنوب) تلحق روادفه ، وتمده من المدد ، و(الشمال) تمزق السحاب " .

وذكر الشماخ بن ضرار أن (النكباء) قد تمطر مطرا غزيرا : (67)

باتا إلى حقف تهب عليهما
نكباء تبجس وابلا غيداقا

وقال المبرد : (68) " وقل ما يكون (بالدبور) المطر ، لأنها تجفل السحاب ، ويكون فيها الرهج والغبرة " .

الخاتمـــــة

توصل هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها :

1. المطر يتولد من البخار الرطب الذي يصعد إلى السماء ، وذلك أن الشمس تمر بمواضع ندية ومياه كثيرة ، فتثير سحابا بحرارة مرورها، فإذا تكاثف ذلك البخار صار غيما ، والمطر مادة ذلك الغيم .
2. ورد لفظ المطر و الماء والسحاب والرعد والبرق كثيرا في القرآن الكريم ، واستخدمت هذه الألفاظ استخداما واسعا ودقيقا ، فالمطر في القرآن الكريم حياة وموت وبعث وأصل للموجودات ، وهو الرحمة والطهور والغيث والبركة ، وهو موضع النعمة والعذاب ، وهذا التصور في القرآن الكريم جاء موافقا لتصور الفكر الجاهلي .
3. تتبع الشعراء في العصر الجاهلي نزول المطر فراقبوه ووصفوا برقه اللامع ، ورعده القاصف ، وسحبه الحافلة ، ورياحه المتناوحة ، ورسموا صورا رائعات لمناظره .
4. تحدث الجاهليون في أشعارهم عن الجدب والرياح الحارة والجافة ، وصوروا حياة الصحراء وهجيرها ثم أمطارها .
5. هنالك علاقة كبيرة بين الرياح والأمطار ؛ فالريح هي التي تكون السحب ثم تلقحها ، وقد سموا الريح التي لا تمطر (العقيم) ، والتي تمطر (اللاقح)، وقد اقترن ذكر ريح الجنوب بالمطر .

المصادر:

1- المرزوقي (أبوعلي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني) الأزمنة والأمكنة ، تحقيق خليل المنصور ،بيروت الطبعة الأولى ،1969م ص524.
2- المقدسي (أحمد بن سهل المقدسي) البدء والتاريخ ،باريس 1903م ص31.
3-أخوان الصفاء وخلان الوفاء (رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء) المجلد الثاني ، الجسمانيات والطبيعيات ص73.
4- ابن سيناء (الشفاء المقدمة) مراجعة الدكتور إبراهيم مدكور ، تحقيق الدكتور عبد الحليم منتصر وآخرون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية القاهرة 1965م
5- القلقشندي (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) المطبعة الأميرية بالقاهرة 1913م ،ج2 ص170.
6- الثعالبي (فقه اللغة وسر العربية)تحقيق أملين نسيب ، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى1998م وما بعدها.
7- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي) وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ،دار الثقافة بيروت ، 1968م جزء 2 ص379.
8 – حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصر ص 1961
9- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أسحق بن يعقوب)الفهرست طبعة دانشكاه ، طهران (د . ت. ط) ص 58.
10-ابن النديم الفهرست (مصدر سابق) ص 59.
11- تحقيق عزة حسن ، دار سمير ، دمشق 1964م .
12- طبعة ضمن مجموعة : حرزة الحاطب وتحفة الطالب ، ليدن 1859م
13- تحقيق عزة حسن ، دار سمير دمشق 1964م .
14- تحقيق إحسان عباس ، مطبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1980م .
15- طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1932م .
16- طبعة المكتب التجاري بيروت (د . ت . ط)
17- لبيد بن ربيعة العامري (الديوان) دار صادر بيروت 1966م ص 109 .
18- لبيد بن ربيعة العامري (الديوان) ص22.
19- عبيد بن الأبرص (الديوان) دار بيروت للطباعة والنشر، ودار صادر للطباعة والنشر ،بيروت 1958م ص 52- 53.
20- عبيد بن الأبرص (الديوان) ص 135.
21- سحيم عبد بني الحسحاس (الديوان) تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة الطبعة الأولى 1950م ص46.
22- سحيم عبد بني الحسحاس (الديوان)ص31.
23- النابغة الذبياني (الديوان) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر (د . ت . ط) ص212.

24- حسان بن ثابت (الديوان) ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت 1978 ص308.
25- الهمداني (الحسن بن أحمد) صفة جزيرة العرب ، ليدن 1884 ص214 .
26- علقمة الفحل (الديوان) شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق لطفي الصقال ، ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي ، حلب ، 1969م ص73 .
27- الأعشي الكبير (الديوان) تحقيق محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب، مصر ، 1950م ص373 .
28- المتلمس جرير بن عبد المسيح الضبعي ، (الديوان) تحقيق كارل فولرس1903م ص192 .
29- الجاحظ (الحيوان) ج6 ص446 .
30- عمرو بن قميئة (الديوان) تحقيق كامل الصيرفي ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر ، 1965م ص10.
31- خفاف بن ندبة السلمي الأنصاري ، (توفي في خلافة عمر بن الخطاب) شعره ، تحقبق نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف بغداد 1968 ص52.
32- الخنساء (تماضر بنت الشريد السلمي) شعرها ، تحقيق أكرم البستاني ، دار صادر بيروت، 1936 م ص140.
33- طرفة بن العبد (الديوان) ص161 .
34- بنو تميم ، شعرهم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق عبد الحميد المعيني ، منشورات نادي القصيم الأدبي ، السعودية 1982م ص332.
35- حسان بن ثابت (الديوان)ص128.
36- أبوتمام (ديوان الحماسة) ج2 ص404 .
37- التبريزي ، شرح المفضليات ، تحقيق علي البجاوي ، دار النهضة ، مصر القاهرة 1977م ص 301.
38- الأعلم الشنتمري ، مختار الشعر الجاهلي ص 161.
39- عنترة بن شداد العبسي (الديوان) تحقيق سيف الدين الكاتب ، دار مكتبة الحياة بيروت 1981 ص 130.
40- الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ص283.
41- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ص71.
42- أبو هلال العسكري ، الصناعتين ص272-273.
43- المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ص524.
44- السكري ، شرح أشعار الهذليين ج1 ص68.
45- ابن قتيبة ، الأنواء في مواسم العرب ص164.
46- المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ص525.
47- أوس بن حجر ، (الديوان) ص15-16.
48- يحي الجبوري ، قصائد جاهلية نادرة ص182.
49- المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ص541.
50- السكري ، شرح أشعار الهذليين ج1 ص199.
51- المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة 525.
52- السكري ، شرح أشعار الهذليين ج1 ص131.
53- عمرو بن قميئة (الديوان) ص96.
54- عبيد بن الأبرص (الديوان) ص 53-54 ، وأوس بن حجر (الديوان) ص15-16.
55- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، شرح وتعليق الكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولي 1992م ج1 ص144.
56- يحي الجبوري ، قصائد جاهلية نادرة ص139.
57- المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ص538.
58- عبيد بن الأبرص (الديوان) ص96-97.
59-طرفة بن العبد (الديوان) ص74.
60- يحيي الجبوري ، قصائد جاهلية نادرة ص171.
61- تميم بن أبي بن مقبل (الديوان) تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق 1962م ص129.
62- امرؤ القيس (الديوان) ص44.
63- المفضل الضبي ، المفضليات ص61.
64- السكري ، شرح أشعار الهذليين ج1 ص 128-129.
65- المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ص 774-775.
66- ابن منظور ، لسان العرب ج2 ص144.
67- الشماخ بن ضرار (الديوان) ص 263.
68- المبرد ، الكامل في اللغة و الأدب ج2 ص 779-780.